لهجات العراق بين العولمة والنسيان... صرخة ثقافية تحذيرية



في نداء يعكس القلق المتزايد إزاء تآكل الموروث الثقافي غير المادي، دعا المركز الاستراتيجي لحقوق الإنسان، اليوم الأحد، إلى بذل جهود عاجلة لحماية ما يقرب من "500" لهجة محلية رئيسية وفرعية مهددة بالاندثار في العراق، مشدداً على أن، هذه اللهجات تشكّل ركناً أساسياً من الهوية الثقافية والذاكرة الشعبية التي تعكس ثراء التنوع الحضاري واللغوي العميق للمجتمع العراقي.

وذكر المركز في تقرير تابعته وكالة "المطلع"، أن:"اللهجات العراقية تعد مرآةً لتاريخ طويل من التعدد الإثني والديني والمناطقي، إذ تُعبّر عن التنوع اللساني الذي شكّل النسيج الاجتماعي العراقي عبر العصور".

وأكد التقرير، أن:"الحفاظ على اللهجات هو حماية لذاكرة العراق الشفوية، وهوية مجتمعاته المحلية، وصورة من صور الانتماء الوطني التي لا تقل أهمية عن الرموز الرسمية".

وكما أشار المركز الحقوقي في تقريره إلى أن، هناك "500" لهجة رئيسية وفرعية في العراق، مردفا

بالقول إن:"هذا التنوع اللهجي يشكل ثروة وطنية ينبغي حمايتها من الاندثار بسبب العولمة والتغيرات الاجتماعية والتقنيات الحديثة، التي باتت تؤثر على اللغة المحكية".

وطالب المركز الحكومة العراقية و الجهات المعنية في الدولة كافة:"بدعم الجهود الثقافية والبحثية والتربوية التي تهدف إلى توثيق اللهجات المحلية وتدريسها ودراستها في السياق الأكاديمي، إلى جانب دعم الأعمال الفنية والإعلامية التي تستخدمها وتبرز جمالياتها".

وكما دعا التقرير إلى، إدراج مادة التراث اللساني ضمن المناهج الدراسية، ودعم المراكز البحثية في توثيق وتسجيل اللهجات، وتشجيع الإعلام والفن على استخدام اللهجات المحلية بطرق تحفظ كرامتها وتنوعها، وتنظيم مهرجانات شعبية للهجات، تحفز الأجيال الجديدة على الفخر بتراثهم اللغوي.

ويُعد العراق من بين أكثر الدول تنوعاً لغوياً ولهجياً في المنطقة، حيث تشكّلت عبر قرون من التداخلات الحضارية والتعدد الديني والعرقي والمناطقي فسيفساء لسانية فريدة، تشمل لهجات عربية محلية (مثل البغدادية، البصراوية، الموصلية، الفراتية، وغيرها)، ولهجات كردية (سورانية، كرمانجية)، إضافة إلى السريانية، التركمانية، الشبكية، المندائية، واللهجات الآشورية.

وتُعد هذه اللهجات أكثر من مجرد أدوات تواصل، فهي حاملة لهوية جماعية وذاكرة مجتمعية تختزن تعابير وعادات وأمثالاً شعبية ونمط حياة لا يمكن نقله بدقة عبر اللغة الرسمية.

إلا أن هذه الثروة اللغوية غير الرسمية تواجه تهديدات متزايدة بالاندثار بفعل عوامل عدة، على رأسها التغيرات السكانية، والتمدن، والعولمة الثقافية، ووسائل الإعلام المركزية التي تروج للهجة موحدة أو اللغة الفصحى على حساب التنوع المحلي.

ورغم محاولات محدودة من الباحثين والمؤسسات الثقافية في العقود الماضية لتوثيق بعض اللهجات، إلا أن غياب استراتيجية وطنية شاملة لحماية هذا التراث غير المادي جعل الكثير من اللهجات خاصة تلك المنطوقة في القرى أو بين فئات عمرية مسنة على حافة الزوال.

وقد أطلقت عدة دول في السنوات الأخيرة مبادرات شبيهة لحماية تراثها اللساني المحلي، مدفوعة بإدراك متزايد أن الحفاظ على اللهجات هو جزء من حفظ الهوية الوطنية، وأن التنوع اللغوي يعزز منعة المجتمع ثقافياً وليس تهديداً لوحدته.